الامراض المعدية واهولها فتكاً فلا تنقضي اجيال قليلة حتى يصير اعقابنا لا يعرفون ما هو السل الا من قراءة التواريخ كما كنا نظن اننا لا نقرأ في تاريخ الطب الا عن الطاعون.....

الحكم بالظواهر

ليس اجهل من المرء يلتمس المجد والجاه بان يكون محتقراً لسواه ولا اقبح من الانسان يطلب رفعة نفسه في ازدرائه ببني جنسه ولا ادل على قلة العقل فيمن لا يحكم على غيره بسوى لبسه انه لدى الحقيقة كالحيوان لا يعي الا ما يقع تحت حسه بل عجيب لهذا الحيوان الناطق الذي سعى وراء الطبيعة يستكشف مغيباتها ويستوضح بعقله محجباتها كيف يذهل عن معرفة اخيه الانسان وهو اقرب اليه من سائر الاكوان واولى منها بالاستثبات والعرفان وغريب له وقد تحقق اخفى الجواهر كيف تخفى عليه اوضح الظواهر وكيف تشتبه لديه مقادير الناس وقد نشأ بين الناس حتى ليغلط في الحكم عليهم باكذب الشهود وهما هيئة الوجه واللباس

قال العلامة اليازجي رحمه الله

لا تعطِ حكمك ما بدا لك امره حتى تقوم على حقيقة امره

وهذا البيت خليق بان يكون خلاصة الحكمة والهادي الى تقويم الخلق والطبع ومعرفة الانسان قدر نفسه وسواه وعندنا انه لو جرى الناس على

موجب هذا القول لما وجدنا بيننا متكبراً يحتقر سواه لغير سبب ولا منخدعاً بالظواهر لاقل عرض

ولو حقق المرء اكثر ما يجري بين الناس من خصومة ومنافسة لوجده صادراً عن غلط في الحكم واسراع فيه بل لو تعمق المرء في البحث والتحقيق لرأى ان الحكم على الشيء قبل استثبات كنهه انما هو رائد الغضب والحقد اللذين تتشوه بهما محاسن الدنيا فيتكدر صفاء الانسان

وليس الحكم على الاشياء او الناس لاول ما يبدو من امرهم بالشيء الهين الاحتمال المقبول النتيجة والعاقبة بل هو من اشد مصائب الانسان واجل الدواعي الى السخط والنفور والغلط في الحقائق التي تقوم بها الدنيا وكثيراً ما كان الحكم دون بحث وتروٍ من اسباب الحروب والفتن وعدوان الشعوب وطالما كان سبب خديعة الافراد وتنافرهم الى حد بعيد

ولقد بلي اكثر الناس بهذه النقيصة منذ بدء نشوئهم فما انفكت عنهم على كثرة تمدنهم وولوعهم بالحقائق وان النظر الى من قال دون ما قال واعتبار من صنع دون ما صنع لمصيبة قديمة كم ضاعت بسببها اقدار وكرامات وكم لزمت افئدة الفضلاء وارباب الحقائق حتى الممات بل كانت سبب الممات وكل ذلك انما يجري عن قصد يدعو اليه غمط الاحسان والكبرياء ولا يفعله الا ارباب الدناءة اللؤماء

على اننا الان لا ننظر الى تجاهل الناس لحقائق الاشياء والاقدار مما يكون صادراً عن عمد وقصد وان كان التنبيه الى ذلك ادعى واهم ولكننا ننظر الى جهل اكثر الناس وانخداعهم بظواهر الاشياء والناس قبل وقوفهم على الحقائق وهو جهل يمكن رده الى علم وعادة يصح تركها الى سواها

يعرض عليك الشيء الثمين فتجهل كيف صنع ومن صنعه وكيف ركبت اجزاؤه ومفصلاته فتحتقره وتعرض عنه وتحط من قيمته لان ظاهره لم يرضك او جملته لم تعجبك لانك لم تعرف منه شيئاً وليس بعد ذلك من ظلم يكسبك عداوة العارض لغير سبب حقيقي ويدل الناس على جهلك لغير داع دعا اليه الا انت . ويدخل عليك الرجل لا تعرفه في بزة لم تألف لبسها او دلتك على حقارة لابسها فتمتهن الرجل وتتبرم منه ثم يبدولك بعد ذلك انه اوفر منك مالاً واثمن بزة واجود عقلاً واصلاً وان خادمه احسن منك حالاً فتندم على ما فرط منك بما يكلفك مضض الاعتذار القبيح الذي يدل على فرط الجهالة ولا يكون من سبب لذلك الا كبرياؤك وانفتك مع ان الرجل لم يجئك مستكدياً او تسرعك في الحكم مع انه لم يحقق لك ما تصورت فيه وهذا الشأن من أجل عيوب السيرة والعشرة التي ينبغي ان تكون اول ما يجب على الانسان ان يتنبه اليه ويتجنبه والا اشترى مضرة من قد ينفعه بغير سبب وكسب عداوة من يشينه وبئس ما كسب

وقد ذكروا شيئاً يتعلق بهذا الشأن لا بأس من تدوينه للدلالة على ما في ضرر الاخذ بالظواهر فقد رووا ان احد الاغنياء الذين لا يهتمون بالتأنق والتزين والاتسام بمظاهر الغنى الكاذبة ذهب الى احد المصارف المالية لشأن له ولم يكن رئيس المصرف يعرفه فلما رآه تجهمه ولم يحفل بما كان يفاوضه به من الشؤون وتمادى به ذلك الى حد الاحتقار الشائن فغضب الرجل لذلك ولكنه كظم غيظه وانصرف وقد كان ممن لا يحبون التجاوز عمن يحتقر الناس او اراد ان يجعل عقبى احتقار هذا الرجل له كعبرة يعتبر بها سواه فاشترى ما استطاع غناه من اسهم ذلك البنك في مدة قليلة حتى صار له حق التصرف

بالمصرف وفي الحال عزل الرئيس ودله على ان كل ذلك كان بسبب ازدرائه به وعدم اعتباره باطنه دون ظاهره وامثال هذه الحوادث كثيرة تجري كل يوم وتكون وخيمة العواقب على العواطف

ولكن الاخذ بالظواهر خلق من اخلاق النفس او عادة قديمة صارت خلقاً وقلما يلام انسان اذا لم يحفل بانسان خلق الجلباب قديم الاثواب ولكن اللوم كل اللوم لمن يتمادى في احتقاره لجليسه بعد ان يكون قد عرف ان تحت اثوابه البالية فضلاً باهراً وادباً اكيداً كأنه يريد بذلك ان لا يرجع عن رأيه الاول فيه ولا يسفه نفسه امام جليسه بانه كان يجهله من قبل فيرتكب بذلك نهاية الجهل المركب

وقد ذكر لنا بعضهم انه كان مرة في منزل احد وجهاء القطر فدخل عليهما رجل حسن البزة جميل الثوب فقام اليه الوجيه رب الدار وكان لا يعرفه فاستقبله احسن استقبال واجلسه في ارفع مجلس ثم لما حدثه الزائر بما حدث انصرف ولكن دون ان يحفل به صاحب المنزل ذلك الاحتفال ولا شيعه كما واجهه فعجب الزائر الاول لذلك وسأل الوجيه كيف احترمت الرجل حين دخوله ثم لم تحترمه حين انصرافه فقال اما احترامي له حين دخوله فقد كان الواجب الذي تقضي به شروط الاجتماع ولكنه لما تحدث وعرفت مبلغ عقله ولبه وانه ليس على شيء من موجبات الاحترام اعرضت عنه ولم اعبأ به

وهذا التصرف في عشرة الناس واحترامهم على مبلغ عقولهم وافهامهم حسن واجب الاتباع لان به تقل النقائص والتمويه الكاذب ويعرف المرء انه لا يحترم حقيقة الاحترام الا بفضله وعقله فيزداد فضلاً ويقل تمويهاً وقد قال

احد الفضلاء ما رأيت احداً فحكمت عليه الا حين يتكلم فاما ان يزيد اول اعتقادي فيه او ينقص

الا ان الاخذ بالظواهر لا يكون اكثره الا من قبيل العادة كما قلنا دون قصد الاستعلاء والازدهاء فلا يحسب صاحبه مذنباً بل مقصراً مخدوعاً ولكن من الناس من تخدعهم ظواهر نفوسهم وذواتهم فلا يعرفون ظاهراً ولا باطناً لاحد ولا يرون احداً الا حسبوا انفسهم اعلى منه رتبة واشرف طينة وهذا هو الكبرياء والانفة المحضة واللؤم الخالص والعيب الكريه وانما اللؤم بين العجب والتيه. يكون الواحد منهم لا يسوى قطبة في نعل ولا شعرة من جلد بغل فتراه يستعلي على ذوي الاقدار ويستجهل رجال العقل فاذا حضر مجلسهم اعرض اعراض من لا يهمه كلام وهو لم يعرض لا لانه لم يفهم الكلام وسكت سكوت من يترفع عن القول وهو لا يحسن القول ثم اذا اطلع على اقوالهم وكان ممن بلا الله الكتابة بهم اخذ يكتب الفصول معيباً اقوالهم مسفهاً آراءهم وهو في الحقيقة لم يفهم شيئاً مما قالوا وامثال هولاء لا يغني فيهم تأديب ولا يؤثر بهم تأنيب بلى انه يفيدهم السوط دون الصوت او لا يريح الدنيا منهم الا الموت

المرأة والتعليم

« لحضرة الكاتبة الفاضلة السيدة عفيفه دينري صليب »

لا اقصد بكتابة هذه السطور الاتيان بامر جديد او استنباط افكار وطرق حديثة لان هذا الموضوع قد استوفى حقه الباحثون والباحثات فلم

يتركوا باباً الا طرقوه ولا فكراً الا ذكروه بل اقصد حث القوم على اخراج افكارهم الى حيز العمل وتصوراتهم الى الحقيقة والفعل لكي تتم الفائدة ويرتقي العالم بارتقائنا فوقفتي موقف مذكرة علّ تنفع الذكرى لقوم يعقلون

افتتح موضوعي بالسؤال من هي المرأة ؟ هي تلك الطفلة الصغيرة التي تشارك الطفل في العابه وتسابقه فتسبقه في جمال الخلقة وسرعة الخاطر وحدة الذهن وخفة الروح. هي تلك الصبية التي تسابق الصبيان بنشاطها وطاعتها واذعانها وانقيادها وسلامة نيتها واستعدادها لكل عمل يطلب منها . بل هي تلك الفتاة التي يرنو اليها الفتى متصاغراً متذللاً راجياً ان تشمله بلفتة او ترمقه بنظرة اما هي فتعلو فيتصاغر وتنفر فيتدانى وتتيه فيخضع وتتحجب فيناغي الهواء والشجر والطير والحجر وما اختفى وظهر ليبلغ اليها شدة تعلقه بها وتذلله امامها الى ان تسمح بكلمة وتفوه بعبارة فتصبح هي الامرة الناهية والسيدة المطلقة وصاحبة الكلمة النافذة والقول الفصل الى ان تصير زوجة مشاركة وقرينة معضدة ومقاسمة مخففة ثم اما مربية مهذبة فتضع الحجر الاول في بناء النظام الاجتماعي وتهز السرير بيمينها والارض بيسارها. هذه هي المرأة وهذا هو بعض من صفاتها ومركزها في الهيئة الاجتماعية فما هو الواجب نحو هذه الخليقة الطاهرة مع هذه الحال ؟ الا يجب ان تهذب احسن تهذيب وتربى اقوم تربية. اني لا اريد ان اتعبكم ايها الرجال ببراهين عقلية بل اطلب منكم ان ترجعوا معي الى الزمن الماضي لكل امة وتتأملوا تاريخها فتاريخ المرأة هو تاريخ الامة فكما كانت المرأة هكذا كانت الامة ولا جدال ارجعوا الى وقت قال فيه شيشرون {لولا المرأة لخاطب الرجل الآلهة} واخبروني اين مجد امة شيشرون وماذا صار لها ألم يسقط تاج مجدها الى الحضيض وذلك